الهوية العربية وتحديات العولمة بين الرفض والقبول

علي بوسكرة*

الإرسال:	2018/07/01	القبول:	2019/05/26	النشر:	2019/06/30

الملخص باللغة العربية:

ما العولمة؟ وما الهوية؟ وما أثر العولمة في الهوية؟ وكيف يواجه العرب تحديات الهوية في عصر العولمة؟ أسئلة مهمة يطرحها كل من ينتمي إلى العالم العربي الإسلامي خاصة بعدما طرحت الرأسمالية الغربية مشروعها لغزو العالم، تحت اسم العولمة، مستخدمة شركاتها المتعددة الجنسيات ومواردها الثقافية ، وتقنياتها الإعلامية ذات التكنولوجيا العالية ، هذه التكنولوجيا التي اختصرت المكان والزمان وجعلت الرموز لغة التعامل والتعارف بين الشعوب، فأصبح الأقوى من يملك المعرفة،والغني من يحوز التكنولوجيا.إنها أوصاف حضارة هذا القرن الذي تتعالى فيه أصوات العولمة.هذه الظاهرة التي أصبحت تحمل تحدياً قوياً لهوية الشعوب العربية الإسلامية مما جعل هذه الأخيرة تشهد تحولات حضارية وفكرية واجتماعية هائلة في ظل هذه العولمة.وسوف نتناول في هذا البحث مفهومي الهوية و العولمة،والآثار الإيجابية والسلبية الناجمة عن العلاقة بينهما خاصة فيما يتعلق بالجانب الثقافي، وأثر كل ذلك على الهوية العربية والإسلامية، ثم نبحث في سُبِل التعامل معها وفي كيفية مواجهتها.

الكلمات المفتاحية: الهوية العربية، العولمة، العالم العربي، العالم الغربي، الصراع، الحوار.

* - أستاذ مساعد قسم ب جامعة لمين دبغين سطيف2،و باحث دكتوراه علوم في الفلسفة،تخصص فلسفة عربية إسلامية،جامعة أبو القاسم سعد الله ببوزريعة (الجزائر)، البريد الالكتروني: [aliboussakra@gmail.com].

ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: What is globalization? What identity? What is the impact of globalization on identity? How do Arabs face the challenges of identity in the age of globalization? Important questions posed by everyone belonging to the Arab Islamic world, especially after Western capitalism put forward its project to invade the world, under the name of globalization, using its multinational companies and cultural resources, and its high-tech media technologies, which reduced the place and time and made symbols the language of dealing and acquaintance among peoples, It became the strongest of those who possessed knowledge, and the rich possessed the technology. It is the description of the civilization of this century in which the voices of globalization are high.

This phenomenon, which has become a strong challenge to the identity of the Arab peoples of Islam, which made the latter undergoes great cultural, intellectual and social transformations in the light of this globalization. We will address in this research the concepts of identity and globalization, and the positive and negative effects arising from their relationship, especially with regard to the cultural aspect, All this on the Arab and Islamic identity, and then we look at ways to deal with it and how to confront it.

Keywords: Arab Identity, Globalization, Arab World, Western World, Conflict, Dialogue

مقدمة:

الأمة الواعية هي التي ترتبط بقيمها ارتباطاً وثيقا،والأمة الواعية هي التي تستمد من ثقافتها عناصر بقائها ومقوماتها وخصائصها، والأمة الواعية هي التي تستنزف جهودها وتستنهض طاقاتها لتحقيق التقدم والازدهار،و الأمة الواعية هي التي توجه بوصلة المسار الصحيح لحركة المجتمع والثقافة،هذه الثقافة التي لها مميزاتها وخصائصها، هذه الثقافة التي قدمها العالم العربي الإسلامي للعالم عندما استلم العرب زمام القيادة الفكرية والثقافية، هذه الثقافة التي نتجت عن اهتمام المسلمين بجميع مجالات الفكر الإنساني فاشتملت على علوم ومعارف عدة أسهمت في تقدم

الفكر الإنساني بعامة و الإسلامي منه بخاصة. كل هذا لم يكن بالتقوقع على الذات بل بالانفتاح على حضارات أخرى مجاورة كانت أو غير مجاورة.فالعرب كانوا سباقين للتعرف على منابع الفكر الغربي في القرون الأولى ، وهذا بفضل حركة الترجمة والنقل التي قام بها فلاسفة وعلماء العرب الأوائل ، مما جعل العرب في ذلك الوقت يحرزون تقدما عظيما في شتى ميادين الفكر المختلفة ، كل هذا منحهم أفضلية السبق والتفوق على العالم بأسره آن ذاك.

وكما يقال دوام الحال من المحال فحال المجتمعات العربية لم يعد كما كان، فالتخلف والتأخر أصبح السمة البارزة للحضارة العربية الإسلامية،وتجاوز الغرب العرب في مختلف مناحي الفكر ، بينما انغلق العرب على أنفسهم واقتصر نشاطهم الفكري على اجترار التراث والتقيد بالحرف والكلمة ، فكانوا بذلك مقلدين لا مبدعين.

والدارس لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية يدرك أن الثقافة العربية الإسلامية على مرّ العــصور كانت عرضة للغزو بفعل عوامل متعدّدة داخلية وخارجية، هذا بالنسبة للامس.أما اليوم فالشكل الجديد الذي نعيشه ذلك الذي يعتمد أساسا على كفاءة الخدمات وانتشار المعلومات،وسرعة انتقال المعرفة المقدمة وفق تقنيات يتعاظم فيها دور المنافسة بوصفها ركيزة أساسية لبناء قواعد تنموية سياسيا واجتماعيا،اقتصاديا وثقافيا. هذا مهم، لكن الأهم بالنسبة لنا هو ما رافق هذا التطور الكبير وأعني به الثورة العلمية التي أوجدتها تكنولوجيا القرن الواحد والعشرين ، التي اختصرت المكان والزمان وجعلت الرموز لغة التعامل والتعارف بين الشعوب، فأصبح الأقوى من يملك المعرفة،والغني من يحوز التكنولوجيا.إنها أوصاف حضارة هذا القرن الذي تتعالى فيه أصوات العولمة.

هذه الظاهرة التي أصبحت تحمل تحدياً قوياً لهوية الإنسان العربي المسلم خاصة بما يستهدف الدين والقيم والفضائل من خلال التركيز على الناحية الثقافية وتوظيف وسائل الاتصال ووسائل الإعـلام، والشبكة المعلوماتية (الإنترنت) والتقدم التكنولوجي بشكل عام لخدمة ذلك، مما حول العالم إلى قرية صغيرة كما يقولون، فلم يعد هناك أي حواجز جغرافية ، تاريخية ، سياسية أو ثقافية ، و أصبح العالم يخضع لتأثيرات معلوماتية وإعلامية واحدة تحمل قيم مادية وثقافية ومبادئ لا يتلاءم ربما الكثير منها مع قيمنا ومبادئنا..عاداتنا وتقاليدنا، وربما تكون في مواقع أخرى منافية لما هو متعارف بيننا(في مدلولاتنا)، بل وفي بعض الأحيـان مناقضة لها ،والغريب في الأمر

أن التوجه الاستهلاكي للبعض- للبعض وليس الكل- مفرط نحوها دون وعي أو تمييز لنوعية هاته المادة المستهلكة وتأثيرها على التربية والثقافة ، الاقتصاد والسياسة، كل هذا جعل الشعوب الإسلامية تشهد تحولات حضارية فكرية واجتماعية هائلة في ظل هذه العولمة ، ولا يمكن أن يبتعد المسلمون عن تأثيرها، ولذلك فلا بد من فهم ظاهرة العولمة فهماً جيداً حتى يمكن للمسلمين مقاومتها بأخذ الجيد الايجابي المفيد لنا ، وترك السيئ السلبي الغير نافع، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة سرعة إيجاد كاريزما لحماية الهوية الثقافية العربية.

وعليه وفي خضم ما تقدم حاولنا من خلال هذه الدراسة التطرق لهذه الإشكالية بالوقوف عند نقاط مهمة هي جوانب تأثير العولمة على الهوية الثقافية وتجليات هذا التأثير ، والنتائج التي تترتب عنها والتغيرات التي تلحقها بالهوية. كما سعينا من خلال هذه الدراسة إلى المساهمة في صياغة رؤية عامة ووعي جماعي للموضوع من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

ما الهوية؟ وما العولمة؟.

وهل تبني ثقافة العولمة يؤدي إلى طمس هويات المجتمعات العربية الإسلامية و إحلال هويات أخرى؟.

وما هي الوسائل الدفاعية لهويتنا العربية الإسلامية في ظل عولمة لا تعترف بخصوصيات الأمم؟.

أما بالنسبة للمنهج العلمي الذي سرت عليه ومن خلاله في عملية كتابة هذا البحث فكان المنهج الوصفي التحليلي، حيث عمدت إلى بلورة رؤية واضحة حول مفهومي الهوية والعولمة- كل واحدة منهما على حدة- من خلال جمع الحقائق والأدلة ومن ثم ربطها بالمتغيرات والأحداث والوقائع،سعيا إلى الوصول معناها الحقيقي.

مفهوم الهوية لغويا وفلسفيا:

من الموضوعي أنه قبل البدء في كتابة أي بحث هو وضع مخطط عام يُلتزم بحدوده عند الكتابة. ويشتمل كل مخطط على خطوات ، وعادة يشتمل البحث العلمي على مقدمة للدراسة يعرض فيها الباحث الخطوط الكبرى للبحث،وهيكل للبحث تتم فيه مناقشة البحث ودراسته ، وخاتمة يشار فيها عادة إلى أهم النتائج المتوصل إليها.

ومن المهم أيضا أن معالجة البحث تكون بالتعرف على معاني مفرداته ومفاهيمه، لأن وضوح البحث من وضوح مفاهيمه ، تجنباً للخلط بين المفاهيم، وتحرراً من العموميات، ومقاربة للدقة والموضوعية.

ولأن الظواهر السياسية والاجتماعية بصفة عامة ظواهر مركبة، ومتعددة المتغيرات فإن المفاهيم الدالة عليها تتسم بالعمومية والتعقيد وتعدد الأبعاد"كما أن المفاهيم تمثل نتاجاً لخبرة اجتماعية مشتركة تختلف بدورها من حيث الزمان والمكان، فإن استخدام مفاهيم معينة أو فهمها بدلالات ومعانٍ متعددة إنما يعكس في حد ذاته تفضيلات وخيارات وثيقة الصلة بخبرة الجماعة"[1].لذلك تُعدّ عملية بناء الأُطر النظرية من المسائل الحاكمة في العلوم الاجتماعية، مادام أن منهجية الدراسة، وطبيعة معلوماته، ونوعية فروضه تتوقف في جانب مهم منها على هذا البناء، وتتصل به سلباً أو إيجاباً، فالأطر النظرية تبدو بمثابة "بناء متكامل من الأفكار والمفاهيم النظرية يؤدي كل منها إلى الآخر، وتربط بينها جميعاً رابطة واحدة"[2].

ورغم اتساع ومرونة اللغة العربية وغناها في المصطلحات والألفاظ إلا أن هذا الاتساع رغم فائدته لا يخلوا في بعض الأحيان من الالتباس والإشكال تماما كما هو في اللغات الأخرى ، لأن اللغة مهما كانت في جليل قيمتها إلا أنها تحمل مصطلحات غير واضحة وغير دقيقة أعنى متباينة، وبهذا فإنه كلما كانت مصطلحات اللغة أقل وضوحا كانت أكثر غموضا وأكثر التباسا وعرضة لتعدد المفاهيم حولها،وهذا ما يصعب أكثر تحديد دلالة المفاهيم في العلوم – خاصة العلوم الإنسانية والاجتماعية - نتيجة تعدد الاختصاصات والاتجاهات والرؤى إذ أن كل واحد يريد أن يعطى مفهوما محددا لمصطلح ما انطلاقا من طبيعة تخصصه ، فضلاً عن اختلاف الأوضاع والظروف، ولكن على الرغم من كل هذه الصعوبات لا بد لنا من أن نسعى قدر الإمكان لتحديد الإطار النظري وأن نعرّف المـفاهيم التي نعتمدها في هذه الدراسة، والمفاهيم الرئيسة في هذه الدراسة هي "**الهوية**" ، و"**العولمة**".

---

[1] **حسنين توفيق إبراهيم:ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت(لبنان) ،ط2، 1998م،ص39.**

[2] **علي عباس مراد ، عامر حسن فياض:الظاهرة القومية (مدخل إلى الفكر القومي العربي)،جامعة قاريونس ببنغازي(ليبيا)، ط1998،،2م،ص11.**

يعد موضوع الهوية من المواضيع المثيرة للجدل ، حيث يذهب عدد من الباحثين في هذا المجال إلى أن الهوية تخضع في تعريفها للعلم الذي يحقق فيها، وأن لكل علم تعريفه الخاص للهوية يختلف عن تعريفها في العلم الآخر، كعلم النفس وعلم الفلسفة والاجتماع والسياسة وعلم الكلام وغيرها من العلوم الإنسانية المختلفة[1].

ولعل شيوع مصطلح الهوية أكثر في الفترة المعاصرة يعود لظاهرة العولمة وما نتج عنها من ظواهر خاصة السلبية التي أصبحت تهدد كيان ثقافات الشعوب المغلوبة على أمرها وعلى رأسها المجتمعات العربية ، فكان على هذه الشعوب إيجاد حل للتصدي لكل ما يمكنه المساس بعاداتهم وتقاليدهم وبثقافاتهم التي تشكل هويتهم. فكانت ظاهرة العولمة بهذا من الأسباب الموضوعية التي أدت إلى تعدد مفاهيم الهوية تعدد تنوع تارة ، وتعدد اختلاف تارات أخرى ، مما جعلها تحمل مضامين تختلف من علم لآخر ، كما ارتبط مفهوم الهوية بمفهوم الثقافة فنشأ مصطلح الهوية الثقافية التي تعني"السمات التي تميز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل الشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية القومية الأخرى" [2]. كل هذا زاد من صعوبة إعطاء تعريف لمفهوم الهوية.

والهوية لغة تعني: الذات والأصل والانتماء والمرجعية.3 وهي مأخوذة من ("هُوَ..هُوَ" بمعنى أنها جوهر الشيء وحقيقته)4 أي هي الثوابت والمبادئ والأسس لأمة من الأمم ، ويكفي طرح السؤال التالي لتبيان ذلك: من أنا؟ من نحن؟ من هو؟ وهكذا.

أما مفهوم الهوية في الفكر الغربي فقد بدأ ظهوره منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين خاصة بعد ظهور مشكلة الأقليات، وظهور الصراعات الفكرية والإيديولوجية التي أصبحت تهدد ثقافات المجتمعات وحضاراتها، فاهتمت العلوم الإنسانية بدراسته.

---

[1] **د.هناء بوحارة،أ.لمين وادي: أزمة الهوية وإشكالية الابتعاد عن الدين، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة ، العدد الرابع، ديسمبر2016م،ص147.**

[2] **حكيمة بولعشب: تحديات الهوية الثقافية في ظل العولمة ، جامعة جيجل (الجزائر) ، انظر: http://www.aranthropos.com.**

[3] **زغو محمد: أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب ، مجلة الأكاديمية للدارسات الإنسانية والاجتماعية،العدد الرابع2010م،ص94.**

[4] **المرجع نفسه ، ص94.**

فالهوية حسب قواميس الفكر الفلسفي الأوربي هي "الذات" أو "الأنا" تُقابل الآخر والذات "الأنا"le même لا معنى لها سوى أنها المقابل ل"الآخر" (الغير) أو تعارض أو تضاد،أو أنها أي (الأنا) المطابق لنفسه المعبر عنه ب"الهوية" أي كون الشيء هو هو عين نفسه[1].

ويوضح السوسيولوجي الفرنسي ألفرد كروسر (Alfred Grosser) مفهوم الهوية بأنها من المفاهيم القليلة التي حظيت بالتضخم والاهتمام، بحيث أصبحت الهوية شعارًا طوطميا وأصبح بديهيا أن يحل كل الإشكاليات المطروحة،مثل خطاب الهوية أي تلك الخطابات التي تقوم في أسسها الفكرية على تصور خاص للهوية،التي يمكن التمثيل لها بالتيارات القطرية والقومية والوحدوية والإسلامية،وسياسات الهوية أي السياسات التي تمثل الهوية مصدرا لشرعيتها وسندا لها كحقوق الأقليات في تقرير مصيرها أو الصراعات الأهلية وسلطات الحكم الذاتي[2].

أما ماكس فيبر (Max Weber) في كتاباته يؤكد بأن مفهوم الهوية ظهر بداية في كتابات الفيلسوف والطبيب النفساني الألماني فلهلم دلتاي(Wilhelm Dilthey) ،وقد جعل ماكس فيبر المفهوم على مستويين يتعلق أولهما بما يطلق عليه دلتاي اسم الصورة الكونية التي تؤلف الكتلة الأساسية للمعتقدات والمسلمات الافتراضية عن العالم الحقيقي الواقعي، التي يمكن في ضوئها وبالإشارة إليها الوصول إلى إجابات شافية حول مغزى الكون والوجود. ويتعلق المستوى الثاني بالسياق التصوري الواعي والإرادوي الذي تضع فيه الذات الجماعية نفسها ضمن تقسيمات العالم الواقعية أو المركبة من النواحي الثقافية في الأصل، لكن أيضا من النواحي الأخلاقية والاجتماعية والثقافية. و لا ننسى أن الفيلسوف دلتاي ينظر إلى الهوية من بعد فلسفي ومن الجانب النظري[3].

أما الفيلسوف جاك دريدا(Jacques Derrida) فعودنا الابتعاد عن تقديم التعاريف القطعية والمحددة،وهذا ما يظهر في تعريفه للهوية حين يقول:"اللغة هي الهوية الكبرى التي تنضوي تحتها تلك الهوية الفرعية الأخرى من دين أو عشيرة أو

[1] بربجة شريفة:التغيرات السوسيو- ثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، رسالة دكتوراه علوم في علم الاجتماع ، جامعة وهران(الجزائر)، إشراف الأستاذ الدكتور: سلاك بونوة ، 2016/2015م،ص27

[2] المرجع نفسه ، ص28.

[3] المرجع نفسه ، ص29.28.

جماعة ما ، فتحديد الهوية يعزز بواسطة اسم اللغة التي تفي بالوظيفة الرمزية للتمثيل على المستويين الاجتماعي والفردي ، إذ لا يمثل الانتساب إلى العشيرة أو الجماعة فقط وإنما يمثل كل أنواع الولاء :إلى الدين والى الزعيم السياسي إلى الإيديولوجيا".[1] وبهذا المعنى فالهوية عند دريدا" ليست شيئا معطى ، سليما كان أو مصابا ، لأن ما يبقى هو مسار المكابدة اللامنتهي والغريب لإثبات الهوية أو(لتحقيق الذات)"[2]. والمعنى الذي نستخلصه من قول دريدا هو أن عدم امتلاك لغة أمة ما يؤدي إلى عدم امتلاك أهم ما يمثل عناصر الهوية وثوابتها، لهذا فوجود الآخر هو ما يمنحني الهوية،لذلك يجب إرجاء مفهوم اللغة الأم والبحث عن الاختلاف ،أي البحث عن التعددية اللغوية ، اللغة اللانهائية ، وبذلك يمكن تحقيق هوية.

وبخصوص الفيلسوف الفرنسي ادغار موران (Edgar Morin) فقد كانت وجهة نظره فيما يخص مفهوم الهوية بمحاولة الإجابة عن سؤال من هو الإنسان؟ وهويته؟ وأقر بأن الهوية الإنسانية هي هوية قائمة على الكثرة، كثرة من صلب الوجود الإنساني ذاته،كثرة تتجلى في كون الإنسان هو كائن صانع وكائن اقتصادي وكائن المعرفة وكائن الانفعالات والرغبة، وهو الكائن الخير كما هو الكائن القادر على الإتيان بمختلف أصناف الشر... لذلك لا يمكن مقاربة الإنسان من جهة الوحدة ولا تعيين هويته كهوية بسيطة، فالهوية الإنسانية هي هوية مركبة، وسواء تعلق الأمر بالأفراد أو بالثقافات فنحن أمام واقع إنساني يرتبط بالكثرة كما تتجلى في مفهوم "الهوية المركبة"[3]. ومعنى هذا أن هوية الأشخاص والثقافات والأمم تبنى انطلاقاً من مجموع مكونات تشكل وجودهم الفعلي وتفصح عن حقيقتهم.هذا بالنسبة لمفهوم الهوية في الفكر الغربي.

أما مفهوم الهوية عند المفكرين العرب فقد عرف هو الأخر تعريفات من بينها:

[1] أحمد عفيفي: اللغة المؤسس الحقيقي لقيم الهوية والانتماء ، ص1. انظر:
http://wwwalarabiha.org/uptoods/pdf.

[2] جان غراندان:المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، ترجمة عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007م ،ص170.

[3] بربجة شريفة:التغيرات السوسيو- ثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، مرجع سبق ذكره ، ص30.

قال الجرجاني في كتابه التعريفات عن الهوية:" بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"[1] ويقول أيضا"الهوية هو الأمر المتعقل من حيث امتيازه عن الأغيار، والامتياز هذا بمعنى الخصوصية والاختلاف لا يعني التفاضل، وعلى هذا فانتفاء خصوصية الشيء هو انتفاء لوجوده ونفيه"[2].

أما المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة فيقول":...إن هوية الشيء هي ثوابته التي تتـجدد لا تتغير ، تتجلى و تفصح عن ذاتها دون أن تترك مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة"[3].هذا الكلام هو ما يؤكده الدكتور محمود سمير المنير في قوله أن"الهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى"[4].

أما مفهوم الهوية كما عبر عنها الدكتور بن نعمان هي:"مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يُعرفون و يَتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى ...وهي البصمات الخاصة التي تجعل كل أفراد هذه الأمة أو تلك يتميزون بهويتهم الجماعية عن غيرهم من الشعوب و الأمم"[5] وقال أيضا بأنها :"شعور داخلي لا يمكن لأي قوة مادية أن تستأصله من أعماق الكائن الواعي،و لو كان أمر القضاء على الشعور بالهوية والانتماء ميسورا لحققته فرنسا التي كانت تجمع بين أسقف الجزائر والإمام عبد الحميد بن باديس و بين العربي بن مهدي و بيجار(Bigeard) في "جنسية ورقيه" واحدة"[6].

ومن أشهر المفكرين العرب المعاصرين الذين اهتموا في كتاباتهم بمسألة الهوية هو الفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري الذي يقول إن "الهوية وجود

[1] الشريف الجرجاني: التعريفات، دار عالم الكتب ، بيروت(لبنان) ، ط1، 1987م ، ص314 .
[2] عامر رشيد مبيض:موسوعة السياسة الاجتماعية الاقتصادية العسكرية(مصطلحات ومفاهيم)،دار المعارف(سوريا)، ط1، 1999م، ص1380.
[3] محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، دار النهضة مصر للطباعة و النشر ، ط1، 1999م، ص6.
[4] محمود سمير المنير: العولمة وعالم بلا هوية ، دار الكلمة للنشر والتوزيع،المنصورة(مصر)،ط1، 2000م، ص146.
[5] أحمد بن نعمان:الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، دار الأمة، 1996م ،ص22.21.
[6] المرجع نفسه ، ص 16.15.

وماهية، وفي المجال البشري مجال الحياة الاجتماعية على الأقل، الوجود سابق للماهية دوماً، الشيء الذي يعني أن الماهية ليست معطى نهائياً بل هي شيء يتشكل، يشيء، يصير"[1].

أما الفيلسوف اللبناني علي حرب الذي شغلت تفكيره مطولا "مسألة الهوية" وهنا يقول عنها :" ليست هوية المرء مجرّد مماهاة خاوية مع النفس،وإنما هي صيغة مركبة و ملتبسة بقدر ما هي سوية مبنية على التعدد و التعارض،وهي عقدة من الميول و الأهواء بقدر ما هي شبكة من الروابط والعلاقات،وهي توليفة من العقائد والمحرمات بقدر ما هي صيرورة نامية و متحركة من التحولات و التقلبات"ويقول أيضا": هي كل ذلك الاختلاف والتعدد "[2].فالفيلسوف هنا يؤكد على طابع أو صفة الصيرورة التي تتميز بها الهوية ،فالفرد خلال فترات حياته والتي يكتسب منها تجارب و ثقافة محيطه الذي يعيش فيه، بما يحتويه هذا الأخير من تغيرات و تحولات يُؤسس من خلالها هويته والتي تستمر في البناء عبر الزمان و المكان.

ويبين أيضا علي حرب: بأن الهوية هي " فخ كما هي مقتل الحرية،لأن هويتنا هي أغنى و أوسع وأشد تنوعاً و تركيباً من أن تحشر تحت عنوان واحد أو وحيد ، فإنها أشبه بمسرح لأطياف و شخوص أو لأصوات ولغات أو لقوى وآليات تعمل من ورائنا وتتكلم عبرنا، بقدر ما تفلت من سيطرتنا أو تتعارض معنا..."[3].

ويقول أمين معلوف حول الهوية، بأنها مسألة فلسفية جوهرية منذ قول سقراط الشهير**"اعرف نفسك بنفسك"**وصولاً إلى فرويد مروراً بفلاسفة كثيرين آخرين، والتصدي مجدداً لهذا التحديد في أيامنا الراهنة، يحتاج إلى كفاية أكثر مما أملك، ولذلك نرى أمين معلوف يسعى إلى التبسيط في تحديد مفهوم الهوية بقوله بأن "هويتي هي التي تعني أنني لا أشبه أي شخص آخر"[4].

ويمكن أن نستخلص من كل ما أُشير إليه بأن مفهوم الهوية عند المفكرين العرب بشكل عام يعني عندهم، الاختلاف عن الآخر والتميز عنه.

---

[1] **محمد عابد الجابري:مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت(لبنان) ، ط2،، 1997م، ص10.**

[2] **علي حرب :خطاب الهوية (سيرة فكرية) ، الجزائر منشورات الاختلاف، ط2، 2008م،ص61.**

[3] **المرجع نفسه ، ص61.**

[4] **أمين معلوف:الهويات القاتلة ، ترجمة: نهلة بيضون، دار الفارابي للطباعة والنشر، بيروت(لبنان)، ط1 ،2004م،ص17.**

واستخلاصاً من التعاريف السابقة لمفهوم الهوية نستنتج أن الهوية بشكل عام تعني مجموعة الخصائص والمميزات التي يتميز بها هذا الشيء عن ذاك. وهذا معناه أن الخصائص المحددة لهوية شيء ما إما تكون خصائص عامة قد تشترك معها الهويات الأخرى، أو خصائص خاصة ينفرد بها هذا الشيء.وهذا معناه أن الهوية تكون تارة أساساً للتشابه والتماثل بين أفراد مجموعة بشرية، وتكون تارات أخرى عامل التمايز والاختلاف بين الجماعات ، فإذاً كانت الهوية قاعدة وأساساً للتعاون والانسجام بين أولئك الذين لا يختلفون ، فهي أيضاً عامل صراع ومنافسة بين الذين يختلفون ولا يتشابهون. ولكن تبقى نقطة جوهرية أخرى وهي أن أهمية ودور ووظيفة الهوية مرتبط أشد الارتباط بالفاعل الذي يعتمدها في تعريفه لذاته وفي تعامله مع الآخرين.

وإذا كان هذا هو المفهوم العام للهوية ،فإن الهوية عند المسلمين أكثر أهمية، والإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هو هوية مشتركة لكل مسلم، كما أن اللغة التي نتكلم بها ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب، وإنما هي: الفكر والذات والعنوان، بل ولها قداسة المقدس، التي أصبحت لسانه بعد أن نزل بها نبأ السماء العظيم، كما أن العقيدة التي نتدين بها ليست مجرد أيديولوجية وإنما هي: العلم الكلي والشامل والمحيط، ووحي السماء، والميزان المستقيم، والحق المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي منظومة القيم التي تمثل مرجعيتنا في السلوك، فهي ليست نسبية ولا مرحلية.[1].

مفهوم العولمة:

إن الدارس لتاريخ الفكر الإسلامي يلاحظ بوضوح كيف كان المسلمون؟ وكيف أصبحوا؟ فبعد ماكان لهم وزن واعتبار وشأن بين الأمم والشعوب، أصبحوا معرضون لمختلف الحملات التي أتت على الأخضر واليابس مستهدفة فكر الأمة وعلومها، عاداتها وتقاليدها ، دينها وعقيدتها، أخلاقها وقيمها. حملات جاءت من حضارة لم نشارك في صناعتها ولا نعرف عنها شيء سوى أنها غريبة عنا وعن أصولنا.كل هذا كان نتيجة مشروع غربي في الأساس أوجده التلاقي بين ما يريده الغرب ، وبين الإمكانيات الهائلة التي أوجدتها الطفرات الكبيرة في تقنيات الاتصال والمعلومات.هذا المشروع هو ما يطلق

[1] محمد عمارة :مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، مرجع سبق ذكره ، ص 46.

عليه اسم العولمة.**فماذا تعني العولمة؟وما هي جوانب تأثير العولمة على الهوية الثقافية وتجليات هذا التأثير؟. ما هي السبل للتعامل مع العولمة بما يحفظ الهوية؟.**

ثمة إشكالية يواجهها كل باحث عند تعريف العولمة تتعلق بالتباين الشديد ، وعدم وجود تعريف متفق عليه بين الباحثين ، واختلاف التعاريف باختلاف توجهات المعرّفين ومفهومهم الشخصي للعولمة. ولكي نضع لمفهوم العولمة إطاراً عاماً ، نستعرض بعض التعاريف والأقوال التي تناولها الباحثون :

العولمة ترجمة للمصطلح الإنجليزي Globalization وهي تعني إكساب الشيء طابع العالمية[1].

العولمة مشروع حضاري غربي متكامل البنيات ، أوجده التلاقي بين التطلعات والحاجات الغربية من جانب ، والإمكانات المادية الهائلة التي أوجدتها الطفرات الكبيرة في تقنيات الاتصال والمعلومات والصناعات المتقدمة من جانب آخر.[2]

العولمة كما يراها الكثير من المفكرين والكتاب هي سيطرة وغلبة ثقافة من الثقافات على جميع الثقافات في العالم.[3]

وهناك من فرّق بين العالمية و العولمة ، فقال إن (العالمية تفتُّح على العالم ، وعلى الثقافـــات الأخرى ، واحتفاظ بالخلاف الآيدولوجي ، أما العولمة فهي نفي الآخر ، وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الآيدولوجي).[4]

كما يقصد الغرب بمصطلح العولمة Global أو Universal أن الغرب قد حقق أهدافاً عالية في مجال التكنولوجيا والكمبيوتر ، فتطور خلال السنوات الأخيرة تطوراً هائلاً في حقل الاتصالات ، والمعلومات ، والإنترنت ، وحقق الكثير من الإنجازات . أما المنظور الأمريكي للعولمة فإنه يجمع بين أمور التكنولوجيا والاقتصاد والسياسة والسلوك والقيم والأخلاق ، أي لا يريد أن يسيطر على الجوانب المادية فحسب ، إنما يتعدى ذلك إلى القيم الاجتماعية للشعوب.[5]

---

1 منصور زويد: العولمة في بعدها الثقافي، مجلة كلية الملك خالد العسكرية،العدد58 ، مايو1999م ،ص33.

[2] أحمد التويجري:الدين والعولمة ، المجلة العربية ، العدد273 ، فبراير2000م ،ص38.

[3] بربر علوي السادة:العولمة طريق الهيمنة ، مجلة الوعي الإسلامي،العدد409 ، ديسمبر 1999م/جانفي 2000م،ص6.

[4] محمد عابد الجابري:العولمة والهوية الثقافية ...عشر أطروحات ، مجلة المستقبل العربي ، العدد248 ،أكتوبر 1999م ،ص15.

[5] أحمد شلبي:العولمة ، مجلة المنهل ، العدد557، أفريل/ماي 1999م ،ص46.

والفرق الذي نراه بين العالمية والعولمة ، فالعالمية تفتح الخصوصية ، وترتقي بها إلى ما هو عالمي وكوني ، أي أنها تعتبر قاسماً مشتركاً ، تنفذ من خلاله رؤية تعبر عن وجهة نظر تستوعب جميع الثقافات والتكتلات والآراء ، في إطار التساوي في التعايش بين بني الإنسان . أما العولمة فهي تعبّر عن وجهة نظر خاصة تريد أن تبسط سيطرتها على الرؤى الأخرى على المستوى الإقليمي أو العالمي.

وأبرز تعريفات العولمة التي وقفت عليها.

- التقدم الهائل في وسائل الاتصال، لا سيما ظهور الإنترنت والقنوات الفضائية.
- إخضاع العالم لقوانين مشتركة تضع حدًّا فيه لكل أنواع السيادة .
- سيادة النمط الغربي في الثقافة والاقتصاد والحكم والسياسة في المجتمعات البشرية كلها.
- استعمار جديد أقل تكلفة من سابقه.
- توجه ودعوة تهدف إلى صياغة حياة الناس لدى جميع الأمم ومختلف الدول وفق أساليب ومناهج موحدة بين البشر، وإضعاف الأساليب والمناهج الخاصة.

ويلاحظ من خلال التعريفات السابقة التركيز على معنى الهيمنة والإخضاع عند المنتقدين للعولمة بناء على خلفيتهم الثقافية ، إلا أن بعض التعريفات نحت منحى آخر يركز على جوانب التفاعل والتقارب بين الأمم والشعوب. فتباينت الآراء والتوجهات حول ظاهرة العولمة فمنهم من دعا لها واعتبرها السبب في جعل بلدان العالم أكثر تقاربا وانفتاحا، وهذا بفضل التقدم المذهل في وسائل الاتصال والمواصلات والفضائيات والإنترنت،والانفتاح المعلوماتي وقال بأنها:" ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والثقافة والاجتماع والسلوك، ويكون الانتماء فيه للعالم كله"[1].ومنهم من دعا إلى تركها لدرجة خطورتها لاعتبارهم أن" العولمة هي الاستعمار بثوب جديد، ثوب تشكله المصالح الاقتصادية ويحمل قيماً تدعم انتشار تلك المصالح وترسخها، إنها الاستعمار بلا هيمنة سياسية مباشرة أو مخالب عسكرية واضحة"[2].ويرى آخرون أن العولمة ما هي إلا صيغة مهذبة للأمركة تريد أمريكا من خلالها بسط سيطرتها على

[1] محمد بن سعد التميمي :العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، ط1،2001م، ص28.

[2] خالد بن عبد الله القاسم:العولمة الثقافية وأثرها على الهوية،جامعة الملك سعود بالرياض (السعودية)، (د.ت)،ص3.

العالم ، وفرض نموذجها وثقافتها وسلوكياتها وقيمها ومبادئها وأنماطها لتستهلكه البلدان المستضعفة خاصة البلدان العربية الإسلامية.أي إنها تمثل كل"غزو ثقافي اجتماعي اقتصادي سياسي يستهدف الدين والقيم والفضائل والهوية، كل ذلك ...باسم العولمة وحقوق الإنسان"[1].والبعض الأخر يرى أن العولمة هي الهاء للشعوب والأمم - خاصة شعوب العالم الثالث -"لإخفاء الصراع حول المصالح والثروات وإلهاء الشعوب الهامشية بثقافاتها التقليدية، بينما حضارات المركز تجمع الأسواق، وتتنافس في فائض النتاج"[2].

نستطيع في ضوء ما تقدم أن نذهب إلى استنتـاج مؤداه أن للعولمة مؤيدون ومعارضون، كما أن لها أثارا سلبية وأخرى ايجابية، فهي وان سخرت للبشرية وسائل الاتصـال من الانترنت والفضائيات وجعلت من بلدان العالم أكثر تقاربا وانفتاحا، فهذا لا يعني أنها لا تخلو من السلبيات التي تزيد من خطورتها على بلدان العالم العربي الإسلامي خاصة.لأن ما تسوقه العولمة من مبادئ يختلف كليا مع مبادئنا وعاداتنا وتقاليدنا،قيمنا وأخلاقنا، ديننا وعقيدتنا.

وعندما نعرف كل هذا فإننا ندرك أن هويتنا في خطر كبير، لأن موضع هويتنا ضمن هذه العولمة يخيف كثيرا خاصة في ظل التغيرات التي تتضاعف يوما بعد يوم، والتي تؤدي بدورها إلى توتر في العلاقات وتزيد من إمكانيات الاختلافات بين المحلى والكوني، وفي هذا الواقع وهذا الوضع فإن الهوية العربية تسير في طريق العقم ، ما لم تخصب من جديد ويعاد قراءتها للعولمة بعد إعادة صياغة المتغيرات والمستجدات العالمية فنحدد مكانتنا عندما نحدد آليات الدفاع عندنا.

والسؤال المطروح هنا:ما هو إذن مآل هويتنا في ظل هذه المتغيرات؟ وما هي وسائلها الدفاعية؟.

طرق وآليات التعامل مع العولمة بما يحفظ الهوية:

إن سؤال الهوية والعولمة افرز عدة إجابات تفرعت بين مقتنع متفائل بوجود العولمة كظاهرة متغيرة حسب المكان والزمان، فلا خوف إذن من دخولها ، وبين محذر

[1] المرجع نفسه،ص3.

[2] حسن حنفي :الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية،بحث ضمن كتاب العولمة والهوية، منشورات جامعة فلادليفيا، ط1، 1999م، ص33.

مندد بوجودها كونها"أمركة".وفي كلتا الحالتين تُقدم الهوية في صورة اغتراب يزداد يوما بعد آخر، إما بالانسلاخ طوعا أو إجبارا.

وإذا كان ما تسعى إليه الرأسمالية الغربية باسم العولمة، هو تشويه هوية وتاريخ بلدان العالم المستضعفة وتحطيم خصوصياتها ، فإلى متى سنضل نعظم كيانا يهدف لتحطيمنا، ويكن لنا كل الحقد بسبب انتمائنا الديني والقومي؟.

إذن؟ ليعلم الجميع أن هويتنا العربية فريسة يترصد لها الغرب وإن كان جزاءا منها هو اليوم بين يديه، فلا يجب أن نستسلم نهائيا لأطماع سماسرة العالم، إنهم سيسمحون لأنفسهم بكل شيء، حتى بمتاجرة أرواح الشعوب، حين تحطم مقدساتها، ويحترق ماضيها وإرثها، فيزداد شعورها بالنقص،ويظهر لها الآخر النموذج الأرقى، لتعويض هذا الفراغ الذي يعيشونه فيساومه هذا الآخر في كل ما يملك مقابل أن يمنحه ما يسمى بالحضارة.

ولكن هل الحضارة تقوم على إقصاء البعض، وتتويج البعض الآخر؟

وهل هذه هي الحضارة التي تفنن الغرب في ذكرها؟.

هل هذه هي العالمية التي يدعى "الآخر" المناداة بها والدعوة للمشاركة فيها؟ كلها أسئلة وأجوبة ندركها جميعا.

إننا نسير نحو ثقافة جوفاء إن بقينا هكذا ، فسنفقد ما نتميز به ونختص به ما لم نحدد ونبين الأمر مع هؤلاء الذين يدعون أنفسهم صانعي الحضارة ، ويتفقوا معنا على منطق الحضارة الإنسانية التي تحمل السلام والتعايش لا الحرب والصراع ، الصراع الذي هو مقصد من مقاصد الإيديولوجية الغربية التي لا تعرف دينا ولا خلقا، إنها تؤمن بأفضليتها وتشهد العالم براءتها، وهي ظالمة. فما علينا إلا أن نتفق على خطوة واثبة من أجل تحديد معالم المواجهة، فنقتنع جميعا بضرورة التحدي من أجل مستقبل لا يعترف إلا بالأقوياء، فكيف تكون هذه المواجهة؟ وما هي التحديات الكبرى التي ناقشت مصير الهوية العربية سياسيا واجتماعيا وثقافيا.

أ- سياسيا:

تواجه الهوية العربية خطر من طراز خاص ، وهو اجتماع وجهي العولمة، وجه الخصوصية المنافية لكل من عاداها متمثلة في الخطر الإسرائيلي، ووجه العمومية الساحق المتجلية في الإمبراطورية الأمريكية ، وهما الوجهان المنظمان للخطاب السياسي العالمي بطريقة مباشرة أو دون ذلك.

ونعتقد أن أولوية الأولويات في عملية مواجهة العولمة"ينطلق أساسا من الأنظمة السياسية الحاكمة في بلداننا العربية والإسلامية ، لأنها المهيمن على القرار السياسي والثقافي والإعلامي"[1].ويكون ذلك بالاعتراف بفشل هذه الأنظمة في ممارساتها السياسية التي سلبت حريات الأشخاص، وصادرت أفكارهم فولدت فيهم شعور الحقد والكراهية،وانعدام الثقة تجاه هذه الأنظمة المستبدة.لأن ما مارسته هذه الأنظمة من"قمع وتهميش...على مواطنيها قد أسهم في قتل الرغبة في الانجاز والسعادة والانتماء"[2].وبالتالي فالحل يكون بإزاحة وتنحية هذه الأنظمة الفاسدة من مناصبها وكراسيها هذا من جانبنا.

أما من الجانب الأخر فكلنا نعلم أن أمريكا وحلفائها بطريقة أو بأخرى هم قادة العالم وسادته الموزعين لقوانينه، فإن التبعية السياسية لأغلب البلدان عامة والعربية خاصة، جعلتها تستند لها لتحقيق أمنها، وتستعين بشعارات السلم، والديمقراطية، التي يتقن الآخر ترديدها، لكنها هتافات متحايلة مرتبة لغزونا، وإلا فلماذا تسكت أمريكا وحلفائها على الجرائم التي ترتكبها إسرائيل يوميا في حق الفلسطينيين؟،أو العدوان الأمريكي على العراق وحصار أراضيه؟.

وهنا الواجب علينا إقامة منظومة أمنية عربية لمواجهة التحديات الراهنة، لأن تأمين الأمن العربي وتحقيق السلم في أراضيه يقوم على توحيد الصف العربي، وتبادل الخبرات السياسية بين بلدان هذه الأمة، بدل استردادها من الآخر بتكلفة تزيدنا تبعية لها، وهو المشروع المعروف بالوحدة " تلك التي تنطلق أولا من التعايش السلمي بين البلدان العربية، المتجاورة منها خاصة، في إطار من الثقة المتبادلة والعمل المشترك في الميادين الاقتصادية والعلمية والتقنية والثقافية، لان مستقبل الفكر العربي، بل مستقبل العرب ككل رهين بما يستطيعون قطعه من خطوات عملية على طريق التكامل والتعاون، والتضامن والاتحاد "[3].

ونعتقد أن إجراء مصالحة عربية شعبية يتضمن عودة شمل العرب وتفادي النزاعات بين أقطار هذه الأمة بتقليص الخلافات بين المسلمين حكومات وشعوب

[1] خليل نوري مسهر العاني:الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، بغداد(العراق)،ديوان الوقف السني ، 2009م،ص190.

[2] المرجع نفسه ، ص191.

3 محمد عابد الجابري:إشكاليات الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ، ط2 ، 1994م ،ص85.

وجماعات بالاعتصام بكتاب الله عز وجل"**واعتصِمُوا بِحبل اللّه جميعا ولا تفرقوا**"[1].أي انه من الواجب علينا التعـامل مع مثل هذه النزاعات بعقلانية وبثقافة إيجابية فاعلة ناصحة حتى لا يجد الأعداء ثغرة من خلالها. ولعل (حرب الخليج) لمثال واضح في إنهاك القوى العربية واستفادة ناجحة لأمريكا وعملائها، فالمصالحة إذن ذات أهمية قصوى في تحقيق التنمية العربية. لذلك لابد من إقامة مواثيق تشرف على فض النزاعات بين الأقطار، وإقامة محكمة عدل عربية قوية تهتم بحل قضايا الخلاف لحدود أمتنا، وتكثيف عمل الجامعة العربية لحلول السلم، وبعث الديمقراطية دون اعتداء قطر على آخر، للقضاء على التخلف والتأخر، والقضاء على الاستبداد الذي هو عامل أدى بدول العالم الثالث ودول العالم العربي إلى "التخلف والتطرف و التشرذم الثقافي ، حيث ظل الاستبداد أحد مظاهر النظم السياسية في التاريخ العربي وكان من أهم مطالب الحركات الإصلاحية والفكر النهضوي عموما مثل: الأفغاني، الكواكبي، الطهطاوي وغيرهم ، إذ يرون أن الاستبداد السياسي هو السبب الجوهري في تخلف الأمة وتشرذمها..."[2].

كما يجب تشجيع المشاركة الجماعية لوضع القرارات الصالحة لخدمة حدود كل دولة عربية، وإقامة سياسات تنموية تتكامل فيها الجهود ضمن إطار خطة واحدة تضمن استفادة كل دولة، وهو العمل الذي جسده مشروع الوحدة المغاربية على سبيل المثال، فتكوين "الاتحاد المغاربي" كان له الفضل في إيجاد رزنامة تكون برنامج التحديات الكبرى، التي توليها بلدان الاتحاد بغية الدفاع عن هويتها، وإن كان إلى حد ما إقليميا، غير أن أهدافه أكبر بكثير لحدود البلدان المشاركة فيه" إن المسؤوليات والتحديات الإفريقية التي تعيشها بلدان الاتحاد المغاربي، وهي تغطي جغرافيا وتاريخيا الشمال الإفريقي بكامله، تجعلها معنية بالشؤون الإفريقية، جميعا. ومجالات التطور والتنمية في بقية قارات العالم، هذا البعد العربي الإفريقي للإتحاد المغاربي... يهم العرب جميعا ويتصل بالمستقبل المشترك"[3].

على البلدان العربية أن يزداد شعورها بالانتماء الواحد للهوية العربية ، فقضية بلد ما في هذه الأمة هي قضية عربية تمس الجميع، وهنا يزداد شعور بعضنا

[1] سورة آل عمران ، الآية 103.
[2] إسماعيل زروخي: الدول في الفكر العربي الحديث، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة(مصر) ، 1999، ص301
[3] جورج رجي:بين العروبة والعولمة" أسبوعية الأطلس ، العدد336 ، من11 إلى 17مارس2001م، ص14.

ببعض فيزيد الشعور بالانتماء، و تتجذر فينا الوحدة أكثر، وتتحمس الروح أكثر وأكثر"على تقديم التضحيات ... من أجل تحقيق دعائم القوة المستقبلية لتقدم العالم العربي والإسلامي"[1].وعليه يجب تنظيم خطى تنموية عربية شاملة متماشية مع قدرات كل دولـــة موزعة لإمكانيات العمل، كل حسب طاقته من أجل بناء قوة تقوم عليها المجتمعات.

وعموما فإن الآليات التي ترسمها السياسة العربية من أجل إحلال الديمقراطية ومواجهة الخلفية الإيديولوجية التي يسير بها الآخر، وفض النزاعات بين بلدان عربية بالطرق السلمية، والعمل الجماعي في إطار ما يعرف بالشرعية الدولية، مشروع وتحدي ضخم يستدعي توحيد الجهود وتكثيف المشاركة العربية من أجل تحقيق سياسة مستقلة في قراراتها، حتى لا تذهب جهودنا سدا ما لم نملك القرار السياسي المستقل. "ومن هنا فلابد من اتخاذ التدابير السياسية التي تواجه تلك السياسات التي خطط لها علماء الاستكبار العالمي الجديد، وصنعوا دستور النظام العالمي الجديد ووضعوا فلسفة العولمة مشروعا لسيادة النموذج الغربي والمصالح الأمريكية على كل العالم"[2]. فلا يمكن أن نحقق سيادتنا ما لم نملك القرار السياسي الذاتي لهذه الأمة.

ب- اجتماعيا:

يقوم برنامج العمل التنموي اجتماعيا على تحسين وسائل العيش، وتوفير آليات الحياة مع الالتزام الصارم بتحقيق العدالة الاجتماعية"بمعنى أن الظلم الاجتماعي والاستغلال الطبقي سينعدمان في المجتمع الإسلامي، وللوصول إلى هذا لابد أن ننطلق من الشريعة الإسلامية بتكريس أسسها ومبادئها"[3]. لان العدالة تكون في "توزيع الإمكانات والإبداعات الإنسانية على الأفراد عامل أساسي في إغناء الحياة

[1] محمد إبراهيم مبروك وآخرون :الإسلام والعولمة ، الدار القومية العربية ، جمهورية مصر (د .ط)،1999م،ص156.

[2] زكريا بشير إمام: في مواجهة العولمة ، مكتبة روائع مجد ، المملكة الأردنية ،عمان، ط1 ، 2000م، ص148.

[3] محمد عابد الجابري:قضايا الفكر العربي المعاصر،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1998،1م،ص143.نقلا بتصرف.

الثقافية وزيادة عطائها. ولكن لا يجوز فهم الحرية على أنها فتح للباب أمام كل تعبير، وقبول كل فكر، ولكن الحرية المقصودة هي الحرية المنضبطة بضوابط"[1].

زد على ذلك أن تنشيط التفاعل والحوار الثقافي العربي مع ثقافات الأمم الأخرى بالدعوة لجذب الاستثمارات،وإقامة مشاريع مشتركة مع الشركات العالمية "لإثراء الثقافة العربية الإسلامية بما ينفعها من الانفتاح على الثقافات الكونية الأخرى، وفي الوقت نفسه نُعرف تلك الثقافات العالمية بما لنا من تراث وتقاليد وقيم اجتماعية عريقة"[2].وتعريف العالم بأن للفرد العربي قدرات هائلة على تحمل مسؤولية الارتقاء ببلدة إلى أعلى درجات التطور والتقدم.

تشجيع الشباب على فاعلية الاشتراك في العمل النهضوي، وتزويدهم بالمهارات عن طريق الاحتكاك والاستفادة من الخبرات العربية، ومنحهم فرص الاختيار الجماعي من أجل الارتقاء وتقديم الأصلح لأن العولمة هي استمرار الصراع بين القوي والضعيف ضمن منطق المنافسة، ولأجل ذلك لابد لنا من "توسيع قدراتنا التنافسية على صعيد المنشأة والقطر والتكتل العربي، لكي لا نبقى ضعفاء إذا لم نبلغ مستوى الكتلة المؤثرة"[3].

ونعتقد أن كل هذا يكون باستيعاب ما يحدث حولنا،واستيعاب كل ما هو جديد. فمعطيات هذا القرن تفرض علينا الإلمام بهذه الأساليب ، وهذه التخصصات الجديدة، وهذا لتمكين أبناء هذه الأمة التعايش مع الآخر بلغة هذا العصر ومفاهيمه، ما يؤهلنا ربما لضمان كياننا وتعزيز وجودنا الذي هو من الأشياء التي يجب ألا تغيب في عالمنا العربي الإسلامي.

ج- ثقافيـــا:

إن التخطيط لثقافة المستقبل في الوطن العربي حضي كغيره من المجالات الحياتية الأخرى بمعالجة نقدية هامة تخللها تقييم علمي موضوعي لآليات الدفاع التي رسمها العقل العربي، والدعوة إلى ثقافة ذاتية، ولكن غير منغلقة جامعة بين التجذر والغوص في أعماق التاريخ المجسد لتراثنا وفهم البنية الفكرية لهذه الأمة، بمعنى

[1] محمد بن سعد التميمي :العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سبق ذكره ،ص263.

[2] محمد الشبيني :صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة ، دار العلم للملايين،ط1، 2002م، ص251.

[3] أسامة أمين الخولي : العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1998م ،ص453.

تجديد التراث وإحياء الميت منه بما يخدم وجودنا" فإعادة بناء الذات لابد من أن تنطلق من إعادة بناء التراث، من إعادة ترتيب العلاقة بينه كشيء ينتمي إلى الماضي وبين الحياة المعاصرة كشيء ينتمي إلى الحاضر والمستقبل"[1].

ولا نكتفي بإعادة إحياء هذا التراث فحسب ، بل يجب مقارنته بالتجربة العالمية الحديثة من أجل التجديد وبعث المعاصرة فيه"وبذلك نولد ثقافة عربية حديثة وذاتية،هي في آن واحد تراث وحداثة ،منطلقها وأداتها التراث (تجديد التراث) وحصادها التفاعل الخصيب بين الأنا والأخر."[2] ولان التراث (كاللغة والتاريخ...) أحد العوامل المتجذرة لانتسابنا العربي فقد تولى الإسلام بدوره نفس المهمة، محدثا توجها جديدا للعرب لإحلاله لوحدة الأمة المسلمة محل التحالفات القبلية التي سادت قبل مجيء الرسالة المحمدية" وبذلك كان الإسلام عاملا أساسيا في عملية التكوين القومي العربي على أساس الانتماء الحضاري وليس الانتساب السلالي(من السلالة)، إذ يسرت تعاليمه التفاعل مع شعوب المنطقة."[3].ضف إلى ذلك أن شمولية ديننا الحديث جعلت الإسلام رسالة عالمية، ودعوة للحوار العالمي الهادئ لقوله تعالى:"**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ظل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**"[4].

وعند اهتمامنا بهويتنا وذاتيتنا في عمقها الديني والحضاري،سوف ندرك أنه لا بديل لنا لأي حضارة أخرى مهما بدا في زينتها. فثقافتنا عالمية، أبدعت وأضافت وأعطت، ورغم خصوصيتها كانت إنسانية شاملة، لا بتراثها الإسلامي - وهو ذروة عطائها- ولكن بما تجاوزته من عناصر الحضارات الأخرى، وبلغتها العربية وفنونها وآدابها. وكما صنعت الأمة ثقافتها، صنعتها ثقافتها، وحافظت على هويتها عبر أداتها التعبيرية لغة القرآن، فلا تكاد تملك لغة من اللغات ما تملكه اللغة العربية من تراث فكري مكتوب، لا في الكم، ولا في النوع، ولا في النسق اللغوي المتماسك [5].

---

[1] محمد عابد الجابري : المسألة الثقافية ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت لبنان ،ط1 ، 1994.ص252.

[2] عبد الله عبد الدائم : المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت لبنان ، العدد260-2000م،ص48.نقلا بتصرف.

[3] المرجع نفسه، ص51.

[4] القرآن الكريم ، سورة النحل ،الآية 125.

[5] خالد بن عبد الله القاسم:العولمة الثقافية وأثرها على الهوية ، مرجع سبق ذكره ، ص16.انظر أيضا: محمد بن سعد التميمي:العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة مرجع سبق ذكره ،ص318.

وعند اهتمامنا بأحكام الدين ندرك وبوضوح دعوته الصريحة للتعامل مع الشعوب الغير مسلمة، إذا كان في ذلك خيرا لهذه الأمة. ومن ثم كان الإسلام مقدسا للوحدة والألفة بين المسلمين، أو بينهم وبين غيرهم. وعليه يجب أن نهتم بدور الإسلام كدين له عالميته والعربية كلغة مكونة للقومية العربية، فطريق الإنسانية هو طريق القومية الحقة ، أي طريق الثقافات المتفتحة والمتعاونة على نحو يحقق به العرب تفوقهم، ويضمن لهم بقائهم في ظل منطق المنافسة.

ويعتبر الحوار العربي الثقافي وسيلة أمنية لحماية مورثنا العربي، وصيانة هياكله الفكرية والتطبيقية المرسخة لكياننا، وقوميتنا و ميولاتنا ، وتوسيع التنوع الثقافي من اجل الاستمرارية الحيوية الحضارية، وإشاعة حرية الرأي ومقاومة الإرهاب الفكري، ومواجهة كل غزو مهما كان شكله"لأن الحوار الأفقي في التفاعل الثقافي بين خلايا المجتمع المدني أساسي في إشاعة الإبداع في جميع المجالات، ودفع عجلة التقدم، وهو إلى ذلك ضروري لحفظ المجتمع من الانحراف عن القيم وفي الفساد بأشكاله المرعبة المفضية إلى الانهيار والتلاشي"[1].

فالحوار الثقافي إذن يساعد على التجديد الذي لا يتم من الداخل وفي الداخل فحسب، بل يحتاج إلى مساهمة عربية مشتركة من جهة ،وقابلة للاستفادة من الخبرة العالمية من جهة أخرى، عن طريق خطة واعية بالنتائج والغايات، والحوار الثقافي مع الآخر أي الغرب الذي يتحكم في وسائل الإعلام العالمية لا يتم بخطة مدروسة تتناول كل الجوانب التي بها نخاطب الأمم الأخرى بلغتها عن طريق وسائل النشر المختلفة، وبواسطة الطرق السمعية والبصرية وغيرها، هذا العمل النهضوي الذي يخدم هويتنا الثقافية ويساعدنا على إقامة مشروع التجديد الذي يقوم على مبدأ تشجيع المشاركة والعمل الجماعي لإقامة تنظيم مجتمعي يستقيم وهويتنا العربية، ويقودنا إلى مشاركة فعالة في مسايرة التطور العالمي وعليه" فالسعي لإيجاد إنتاج ثقافي وإعلامي عربي مشترك ذي نوعية جديدة،لابد من أن نبدأ بتقوية المقومات الأساسية للإنتاج الإعلامي والثقافي كتدعيم المناهج والبرامج في معاهد التدريس ومراكز التدريب الإعلامية"[2].

[1] بشير بن سلامة:مستقبل الثقافة العربية"الحوار الثقافي في صلاته بالأمن الثقافي العربي "جريدة الفجر ،10-02-2001،ص18.

[2] أسامة أمين الخولي : العرب والعولمة ، مرجع سبق ذكره ،ص338.339.

إن أهم ما ينبغي علينا فعله في هذا المجال هو تقديم تقنياتنا الإعلامية المستوردة منها والمحلية "من أجل الحفاظ على الهوية ودعمها، فضلاً عن استيراد البرامج التي تهدم الهوية دون نظر أو تحميص وتمريرها على عملية انتقاء ، فرز وتدقيق لاستغلال المفيد منها وترك الغير مفيد "[1].ويكون دلك بتوعية المستهلكين من الخطر الإعلامي الغربي، وتحسيس شبابنا بالأبعاد الإيديولوجية للفضائيات الغربية التي تسيطر عليها كل من أمريكا وإسرائيل، وما تقوم به هذه الأخيرة كدور فعال من أجل بث برامجها الإعلامية المخلة لأخلاقيات المسلم والمنافية لتعاليم ديننا، والدخيلة على مجتمعنا سعيا لمسح هويتنا وتهديم مجتمعنا، وعليه يجب تطوير برامجنا الإعلامية من اجل التقليل من تبعيتنا للآخر، وإظهار قدراتنا على التحكم في التقنيات الثقافية بأشكالها...لأن إنماء ذاتيتنا الثقافية يتطلب منا بذل الجهد للسيطرة على التقنيات كي لا نصل إلى وضع نكون فيه عاجزين عن التمكن من التحكم في هذه التقنيات"[2].

إذن فمستقبل الثقافة العربية قائم على حيويتها اللامتناهية وتفوقها على إحداث التغيير باستمرار، والاستفادة من الخبرة العالمية النقدية القائمة على التجديد والابتكار، والمدركة للعلاقة بين الذات والواقع (الموضوع) مع تشخيص الغايات والأهداف، ولتجاوز الانغلاق الذي يريده الغرب لنا، يجب تنمية العقل العربي" فلا سبيل إلى تنمية عربية رشيدة إلا بنمو الأساس الفكري والتنظيمي لعملية التنمية من خلال منظور تكاملي لجميع الأبعاد الكونية والقومية والقدرية الخاصة بها "[3].وحتى نساير العصرنة علينا أن نستفيد من الأخطاء التي ارتكبناها من قبل بسبب غياب النسق والفكر التنظيمي العربي، الذي رافقه تشويه وجدان هذه الأمة، مما أفقدنا حماسة الشعور بالانتماء، وعفوية التآزر والتعاون وتصدي المهام الصعبة، وتعطيل القدرة على العمل المبدع وتلاشي الإحساس بالهوية...

وفي الختام نقول بأن حفظ هويتنا العربية الإسلامية يلزم علينا إعادة حساباتنا مع مستجدات عصرنا الحالي ومستلزمات التنمية فيه، ويفرض علينا تحسين استغلال مصادرنا التنموية ، ويحتم علينا إحداث التوازن بين المادي والروحي حتى لا

[1] خالد بن عبد الله القاسم:العولمة الثقافية وأثرها على الهوية ، مرجع سبق ذكره ، ص16.نقلا بتصرف.
[2] أسامة أمين الخولي : العرب والعولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص339.
[3] سعيد محمد أبو سعدة:نحو تنمية عربية معتمدة على الذات في ضوء نظم القيم وناحية المصادر الطبيعية وممارسات الدول الصناعية" المستقبل العربي، العدد149،مركز دراسات الوحدة العربية ، 1991م،ص80.

نفقد الحكمة. كل هذا من شأنه أن يحقق لنا مستوى من مستويات الإنماء بما يتماشى والحداثة.

كما أن السبيل في الحفاظ على هويتنا يفرض علينا تفكيك كل خطاب داع للتقوقع حتى يتاح لنا ممارسة العولمة على القدر الذي يضمن حيلولتنا، دون أن نشعر بالاغتراب أو نتعرض لشراسة وعدوانية الغرب ، الغرب الذي يسعى إلى إذابة ثقافتنا وهويتنا بالرغم من أن "ثقافتنا وهويتنا قابلة للنمو والاعتناء أكثر من الإذابة والتبعية"[1] لذا فلنحافظ جميعا على ثقافتنا وثرواتنا ومستقبلنا من الضياع والتبدد والتلاشي، حتى نحفظ هويتنا ونضمن استمراريتها مستقبلا.

وستبقى هويتنا في خطر كبير ما لم نوحد قوانا لإعادة قراءة التاريخ بالقدر الذي نحدث به ومن خلاله فعالية نحافظ بها على كياننا الذي يمثل وجودنا.

صحيح أن موضع الهوية العربية الإسلامية ضمن العولمة يخيف كثيرا، وهذا لا يعني أننا لم نستفد من دخولنا العولمة ، لكن؟ العالم في تطور مستمر يتغير كل لحظة ، وقد يأتي يوم يكون البقاء فيه إلا للأصلح والأصلح من هو أقوى،والأقوى من يملك القدرة على السيطرة والاستغلال.فهل نحن مجبرون على مخاطبة الآخر باللغة التي يتقنها؟أم علينا أن نفرض وجودنا بالقدر الذي يضمن بقائنا في عولمة تختزل التعددية الحضارية في نمط حياتي وحيد تمثله أمريكا وعملائها؟ إذن هل سنظل نوهم أنفسنا بحلم العالمية؟وكلنا اقتناع أن ذلك لعبة مكشوفة اتخذها الغرب ذريعة لفرض نموذجهم على شعوب العالم؟.

من هنا فإن الدوافع التي تحملنا على مواجهة العولمة تتعلق بمسائل جوهرية ترتبط بنا كأمة ذات هوية ثقافية ، وحضارة ذات قيم أخلاقية وروحية سامية تستمد تعاليمها من الكتاب والسنة النبوية،ومن هذه النقطة وانبعاثا من موقع هويتنا ومصير موروثنا الحضاري فإننا لا نرضى لخير امة أخرجت للناس أن تداس كرامتها وتهان، وهذا لا يعني أن نرفض الآخر لأنه لم يكن يوما الإقصاء خطابنا ولن يكون ذلك في المستقبل،لأننا فهمنا جيدا معنى الإنسانية.فهل يدرك يوما ما الغرب أن السلم والسلام حق طبيعي للبشرية دون تمييز؟وأن العالمية مطلب حضاري تبنيه شعوب العالم دون إقصاء.

[1] خالد بن عبد الله القاسم:العولمة الثقافية وأثرها على الهوية ، مرجع سبق ذكره ،ص22.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

1- أحمد التويجري:الدين والعولمة ، المجلة العربية ، العدد273 ،فيفري 2000م.

2- أحمد بن نعمان:الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، دار الأمة، 1996م.

3- أحمد شلبي:العولمة ، مجلة المنهل ، العدد557،أفريل /ماي 1999م.

4- أحمد عفيفي: اللغة المؤسس الحقيقي لقيم الهوية والانتماء أنظر الموقع: http://wwwalarabiha.org/uptoods/pdf..

5- أسامة أمين الخولي : العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1998م.

6- الشريف الجرجاني: التعريفات، دار عالم الكتب ، بيروت(لبنان) ، ط1، 1987م .

7- أمين معلوف:الهويات القاتلة،ترجمة: نهلة بيضون،دار الفارابي للطباعة والنشر، بيروت(لبنان)،ط1 ،2004م.

8- بربر علوي السادة:العولمة طريق الهيمنة ، مجلة الوعي الإسلامي،العدد409،ديسمبر 1999م/جانفي 2000م.

9- بريجة شريفة:التغيرات السوسيو- ثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، رسالة دكتوراه علوم في علم الاجتماع ، جامعة وهران(الجزائر)، إشراف الأستاذ الدكتور: سلاك بونوة ، 2016/2015م.

10- بشير بن سلامة:مستقبل الثقافة العربية"الحوار الثقافي في صلاته بالأمن الثقافي العربي"جريدة الفجر،10-02-2001م.

11- جان غراندان:المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، ترجمة عمر مهيبل،منشورات الاختلاف ، الجزائر،ط2007،1م.

12- جورج رجي:بين العروبة والعولمة" أسبوعية الأطلس ، العدد336 ، من11 إلي 17مارس2001م.

13- حسن حنفي :الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية،بحث ضمن كتاب العولمة والهوية، منشورات جامعة فلادليفيا، ط1، 1999م.

14- حسنين توفيق إبراهيم:ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت(لبنان)،ط2،1998م.

15- حكيمة بولعشب: تحديات الهوية الثقافية في ظل العولمة ، جامعة جيجل (الجزائر) ، انظر:http://www.aranthropos.com .

16- خالد بن عبد الله القاسم:العولمة الثقافية وأثرها على الهوية،جامعة الملك سعود بالرياض(السعودية)،(د.ت).

17- خليل نوري مسهر العاني:الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، بغداد(العراق)،ديوان الوقف السني ، 2009م.

18- د.هناء بوحارة ، أ.لمين وادي: أزمة الهوية وإشكالية الابتعاد عن الدين، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة ، العدد الرابع، ديسمبر 2016.

19- زغو محمد: أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب،مجلة الأكاديمية للدارسات الإنسانية والاجتماعية، العدد الرابع2010.

20- زكريا بشير إمام: في مواجهة العولمة ، مكتبة روائع مجد ، المملكة الأردنية،عمان ط1، 2000م.

21- سعيد محمد أبو سعدة:نحو تنمية عربية معتمدة على الذات في ضوء نظم القيم وناحية المصادر الطبيعية وممارسات الدول الصناعية" المستقبل العربي، العدد149،مركز دراسات الوحدة العربية ، 1991م.

22- عامر رشيد مبيض:موسوعة السياسة الاجتماعية الاقتصادية العسكرية (مصطلحات ومفاهيم)، ط1، دار المعارف(سوريا)،1999.

23- عبد الله عبد الدائم : المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت(لبنان)، العدد260،2000م.

24- علي حرب :خطاب الهوية (سيرة فكرية) ، الجزائر منشورات الاختلاف،ط2، 2008م.

25- علي عباس مراد،عامر حسن فياض:الظاهرة القومية (مدخل إلى الفكر القومي العربي)،جامعة قاريونس، بنغازي(ليبيا) ،ط1، 1998م.

26- محمد إبراهيم مبروك وآخرون :الإسلام والعولمة ، الدار القومية العربية ، جمهورية مصر(د .ط)،1999م.

27- محمد الشبيني :صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة ، دار العلم للملايين،ط1، 2002م.

28- محمد بن سعد التميمي :العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة،ط1،2001م.

29- محمد عابد الجابري : المسألة الثقافية ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت (لبنان) ،ط1، 1994م.
30- محمد عابد الجابري:إشكاليات الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ، ط2 ، 1994م.
31- محمد عابد الجابري:العولمة والهوية الثقافية ...عشر أطروحات ، مجلة المستقبل العربي ، العدد248 ،أكتوبر 1999م.
32- محمد عابد الجابري:قضايا الفكر العربي المعاصر،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1998،1م.
33- محمد عابد الجابري:مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997م.
34- محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، دار النهضة مصر للطباعة و النشر ، ط1، 1999م .
35- محمود سمير المنير: العولمة وعالم بلا هوية ، دار الكلمة للنشر والتوزيع،المنصورة(مصر)،ط1، 2000م،.
36- منصور زويد: العولمة في بعدها الثقافي، مجلة كلية الملك خالد العسكرية،العدد58، ماي1999م.
37- إسماعيل زروخي: الدول في الفكر العربي الحديث،دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة(مصر)، 1999م.